تحت الضوء

وجهان لعملة واحدة
التمرد وعصابات الكو كلاكس..
الجماعات التكفيرية

احمد الاخرس

كانت فكرة تستحق التأمل ،تلك التي اوردها الصحفي المبدع ديفيد اغناتيوس في احدى مقالاته في صحيفة الواشنطن بوست .اذ قارن بين ماحدث بعد الحرب الاهلية الاميركية عام ١٨٦٧،وبين مايحدث في العراق الان. حينما سقط نظام الجنوب القديم الذي اعتمد على العبيد المستخدمين في زراعة القطن، كان على الحكومة الاميركية الناشئة ان تعيد بناء ماخلفته الحرب الاهلية وان تسعى الى تشكيل ثقافة سياسية جديدة،تضم جميع الولايات ،ولكنها جوبهت ببقايا النظام القديم ، وعمليات التمرد التي أدت في النهاية الى تاخير الاعمار في الجنوب اكثر من ثمانين عاما !،عاش فيها الجنوب في عزلة وتخلف ،لقد ظهرت الى السطح عصابات ومنظمات سرية، بدأت نشاطها كمنظمات اجتماعية لها اهداف معقولة ،ولكنها سرعان ماتحولت الى منظمات ارهابية ، مثل الفرسان البيض او فرسان الكاميليا،ولكن ابرزها كانت منظمة الكو كلاكس كلان السرية ، التي قام بانشائها بعض من ضباط جيش الجنوب المهزوم ، كانت تقتل افراد الجيش الوطني وتضرب أي مشروع اقتصادي جديد،لقد كان لها ارضيتها الشعبية اول الامر ، حينما بدأت بافكار تدغدغ المشاعر العنصرية للجنوبيين.

لقد ارادت تلك المنظمات ،والمقاومة غير المرئية ،ان تعيد التاريخ الى الوراء ،فكانت تمارس العنف ضد السود وحتى البيض احيانا،و تعمل على تخويفهم وإرهابهم ومنعهم من ممارسة حقوقهم الانتخابية ، ولقد اعتبروا عمليات الاعمار امرا معاديا ، وكانوا ينظرون الى الاخرين نظرة دونية وعندما فشلوا في ذلك ، غيروا من تكتيكاتهم واصبحوا اكثر تطرفا فكان ضحاياهم يتعرضون الى الجلد او التشويه والى القتل احيانا ، ومارسوا الخطف والاغتصاب أيضا ، وكانوا يفسرون ذلك بانها اجراءات ضرورية للدفاع عن انفسهم وعن مصالحهم!، كانوا يخفون وجوههم تحت اقنعة بيض ، فلا تظهر من ورائها الا عيونهم الطافحة بالشر ! ، وهم يعملون تحت جنح الظلام .وتواصل نشاطهم بين مد وجزر، ولكنهم ضعفوا كثيرا بعد ان عزلهم المجتمع ، ونبذ افكارهم العنصرية !

لاشك ان مايحدث في العراق له خصوصيته ،ولكن نظرة سريعة الى نشاط المنظمات السرية هنا ، تبين ان هناك مقداراً كبيرا من الشبه في خلفية النشوء السياسي والاجتماعي بين تلك الجماعات وبين مايحدث الان في العراق ،بل انها قد تتميزعنها ، بانها اكثرخطورة وعنفا ونشرا للكراهية،لقد بدأت بمجموعات ملثمة ترتدي السواد وتضع خلف الشاشة شعارات اسلامية مثيرة ! والهدف المدعى مقاومة المحتل، فهو يشكل فرصتها العظمى، وعبره ،وفيه تخفي وجهها الحقيقي ،ثم ليتبين بعد ذلك انها انحرفت عن مبدأ المقاومة ،بعد ان اخذنا نرى في التلفاز ان اغلب المتهمين بممارسة الارهاب يشتركون في القول، بانهم بدأوا اول الامر بضرب المحتل ثم لينتهي الامر بقطع رؤوس المواطنين العراقيين الابرياء واغتصاب النساء !! في البداية، كان كل هم تلك المجموعات السرية،ان تدخل الى المجتمع بعد ان خلطت الاوراق ، تحت جنح الظلام ،ثم غيرت من تكتيكاتها بضرب البنى التحتية ،واصبحت عمليات الاعمار عدوها اللدود ،فأخذت تقتل كل من ارتبط به،لانه يهدد وجودها ، ثم مارست لعبتها الاخطر في نشر الكراهية والتطرف في المجتمع ،وفي النهاية حين اعجزها كل ذلك ،نقلت عبر وسطائها بانها يمكن ان تتوقف عن عملياتها في حالة اطلاق بعض رموز النظام القديم! وانكشف هدفها الحقيقي! ، نعم لقد نجحت تلك المجموعات في نشر الخوف وتأخير عمليات الاعمار كل هذا الوقت واطالت عمر الاحتلال ، لكنها خسرت جميع اوراقها الآن ولم تبق الا ورقة التوت التي يصر البعض على أنها تخفي عوراتها، لينكشف عريها تماما ، ورأى من له عينان وجهها الحقيقي،بعد ان احترق البعض بنار الكراهية والتطرف الذي اشعلتها هي بنفسها .

تصل إلى القطر مساعدات انسانية شتى ، منها الاغذية ، والادوية ، والحبوب ، السؤال من يتسلم تلك المساعدات؟ وكيف يجري توزيعها؟ هناك من يقول انها تباع ، وآخرون يؤكدون انها توزع على نطاق ضيق. ولكن من الجهات التي تقوم بتلك المهمة.. وكيف تفلت من العقاب..؟ وما دور الاجهزة الرقابية للتصدي لمثل تلك الجمعيات التي تمارس عملها في ظل غياب سلطة القانون ، وهل جميع تلك المساعدات صالحة للاستهلاك البشري؟

مساعدات تالفة.. وجمعيات تعمل بلا إجازة ولحسابها الخاص!

نفقت القطة لدى تناولها جبن مساعدات

سها الشيخلي

هذه القضية لها تاريخ.. فمنذ ان فرض الحصار الاقتصادي الجائر على العراق قبل خمسة عشر عاماً وصلت الى العراق الكثير من المساعدات شقت طريقها إلى جيوب ازلام النظام السابق، وبيعت في الاسواق المحلية والعربية. اليوم يتكرر الشيء نفسه.. لكن الأمر التعيس فيها أن الكثير منها سيئ.

مساعدات .. رديئة!

الكثير من المساعدات التي تشتمل على الادوية والاغذية المعلبة والاجبان والالبان والحبوب بانواعها لا تخضع للفحص المختبري، لذا نجد ان اغلبها غير صالحة للاستخدام ومعظمها تالفة لاسباب عدة منها سوء الخزن، ومضت مدة صلاحيتها، وقبل فترة اكدت الرقابة الصحية وجود لحوم حمر تالفة في الاسواق المحلية ونبهت المستهلك على رداءة تلك الانواع.

اما عن التدابير المتخذة من قبل الجهات الصحية فقد اكد مصدر مسؤول في الشركة العامة لاستيراد الادوية في وزارة الصحة ان اغلب المساعدات الانسانية التي تصل إلى القطر مرفوضة من قبل الشركة لعدة اسباب منها:

١. ان الشركات المنتجة لتلك الادوية غير معروفة عالمياً.

٢. سوء الخزن يعرض معظم تلك الادوية إلى التلف.

٣. هناك ادوية على حافة الانتهاء للصلاحية وهي عندما تصل أو توزع تكون قد تجاوزت المدة المسموح بتداولها..

وأخيراً لا تعرف الجهات التي تتسلم تلك الاعانات الانسانية.. من هي؟ وكيف وصلت اليها تلك الادوية؟ وهل هناك اجهزة مختصة لتلك الجمعيات تشرف على صلاحية الادوية.. ثم لمن توزع؟ المعلومات تشير إلى انها في الارجح تباع ثم تعرض على الارصفة.. سموماً وليست أدوية لامراض.

هذا من جهة الادوية.. اما إذا توغلنا أكثر في عمق المساعدات.. فسوف نجد مالا يسر!

في شوارع .. السيدية

المصادفة وحدها قادتني إلى مشهد توزيع اكياس الطحين إلى محل معجنات في احد شوارع منطقة السيدية في بغداد.. كانت الشاحنة تحمل لافتة بيضاء كتب عليها . مساعدات انسانية للشعب العراقي العزيز . ولما كنت اجهل الجهة المرسلة لذلك الطحين والتي يعز عليها معاناة الشعب العراقي تقدمت من سائق الشاحنة ودار بيننا الحوار التالي:

❖بارك الله فيك وانت توزع الاعانات .. لكن من أين جئت بها؟.

. قدمت من عمان قبل يومين ومعي ثلاث شاحنات مساعدات طحين من جمعيات خيرية في الأردن.

❖ومن اولئك الرجال الذين يقومون بتوزيع الطحين لتلك الافران؟

. ١ نهم ممثلون لجمعية (.....)

❖ أيبيعون الطحين.. ام يوزعونه؟

. ولماذا تسألين؟

وهنا انتبه لوجودي بعض الرجال الذين كانوا منهمكين في التوصل إلى السعر النهائي لاكياس الطحين.

قال لي احدهم بغضب..

. ماذا تريدين؟ لماذا تحشرين انفك في امور ليست من اختصاصك؟..

اخبرته انني أعمل في صحيفة.. وانني اجد في المساعدات الانسانية مادة للقراء.

قال لي احدهم:

. وماذا تقولين عن تلك المساعدات بربك؟

اجبته: سأقول انه عمل انساني نبيل.. ولكن من هي الجهة التي تقوم باعمال الخير والبر هذه حتى نشكرها.

تقدم رجل آخر وهمس لي قائلا:

. هل تحتاج الصحافة إلى طحين.. إذا كان كذلك فخذي كيساً.. و (الله وياج)..

وعندما وجدت نفسي في مأزق، اوقفت سيارة اجرة.. وتركت المكان مسرعة مضحية بكيس طحين بـ (بلاش)!

توجهت . على الفور . إلى وزارة الداخلية الجهة المعنية بالجمعيات وتمنحها الموافقة.. التقيت مسؤول الجمعيات وطرحت عليه السؤال التالي:

❖اوجدت الظروف الحالية كماً هائلاً من الجمعيات الخيرية والانسانية. وهذه الجمعيات تتلقى المساعدات من الخارج أو حتى من الداخل من بعض الميسورين الا انها لا توزعها بشكل عادل. ربما توزع البعض القليل وتبيع البعض الآخر.. كيف يحدث ذلك؟

. لدينا جمعيات انسانية وخيرية تعمل بموجب قانون خاص بها وعليها الالتزام والعمل ضمن ضوابطه.. ولكن في السنتين الاخيرتين لم تلتزم اغلب الجمعيات بالقوانين لامور عدة معروفة لديكم.!

❖ما عدد جمعيات الاغاثة المستوفية لشروط العمل حالياً؟

. لدينا ٢٥-٣٠ جمعية أغلبها في بغداد، وهناك عدد كبير من الجمعيات يعمل بلا اجازة منتهزاً انشغال الجميع بالملف الامني.. ومثل جمعيات تتسلم مواد اغاثة لتبيع وتوزعها على هواها..!

واختتم المسؤول حديثه بالقول: اود ان اشير هنا إلى ان القرار رقم ٤٥ لسنة ٢٠٠٣ ينص على عدم جواز تأسيس جمعية أو حصولها على مبالغ أو مواد عينية الا بموافقة وزير الداخلية ولكن الذي يحدث خلاف ذلك، فالساحة مليئة بجمعيات لا حصر لها.. ان كل اربعة اشخاص يدعون انهم يشكلون الجمعية الفلانية للاغاثة..

أهداف ... المنظمة

اعدت وزارة التخطيط والتعاون الانمائي استثمارات خاصة لتسجيل المنظمات غير الحكومية والتي شملت المنظمات المحلية والاجنبية. وصرح مصدر مسؤول في الوزارة قائلا:

. فضلا عن المعلومات التي تتوفر في استمارة التقديم طالبت الاستمارة المنظمات المتقدمة لتسليم نسخة من أهداف المنظمة منها النظام الداخلي لها، ومصادر التمويل، والنشاطات المختلفة، فضلاً عن وثائق مالية تحتوي على بيانات كاملة للدخول والتكاليف والملكية ومسؤوليات قانونية للسنة الحالية وللسنوات الثلاث السابقة أو كل السنوات منذ تأسيس المنظمة.. وعلى رئيس المنظمة ان يؤكد التزامه بشرط مهم وهو ان المنظمة غير حكومية وغير سياسية ولا تكسب ارباحاً مهما كان نوعها.. ولا تفرق بين المستفيدين على اساس العنصر أو الدين أو الطائفة. علماً ان الوزارة لا تجيز أية جمعية، الا بعد دراسة مستفيضة لواقعها واهدافها وضمن شروط معدة لهذا الغرض. وعلى الرغم من ذلك هناك جمعيات مازالت تعمل من دون الحصول على اجازة مستفيدة من فوضى الجمعيات العاملة ومن غياب سلطة القانون..

لذلك فهي تتسلم المساعدات الانسانية بكل اشكالها وتوزعها دون الرجوع إلى اية جهة رسمية.

وتجدر الاشارة إلى ان اغلب تلك المساعدات تباع في الاسواق المحلية، فعلى سبيل المثال بيعت اسرة المرضى والكراسي المتحركة لمرضى الاطراف إلى جانب المعلبات والاغذية واللحوم بنوعيها الحمر والبيض وهي مواد جاءت كمساعدات انسانية.

في علاوي جميلة

كانت لنا زيارة لعلاوي جميلة والمحال عامرة بشتى انواع اللحوم والدجاج ومفرداتها (الكبدة، الصوصج، الكنتاكي) اما اللحوم الحمر فكانت هي الأخرى مصنفة فمنها "لحم بعظم، شرح، كبدة بقر، همبركر" نقف عند احد تلك المحال ونسأل البائع الذي اشترط عدم ذكر الاسم عن مصدر ما يعرضه بعد ان رأينا صناديق كتب عليها مساعدات من المملكة العربية السعودية، فقال:

. هناك جمعيات تتسلم المساعدات الانسانية وتتضمن شتى انواع الاغذية المعلبة مثل الاجبان، زيت الزيتون، وتأتي من شتى دول العالم مثل (الهند، والسعودية، وايران، وتركيا، والبرازيل، واستراليا) ونسأل.

❖كيف تعلم من انها مساعدات؟

. من الشاحنة التي تحملها ومن التغليف، فهذا اللحم الهندي الذي ترينه كتب على غلافه نوعه وطريقة ذبحه (الطريقة الإسلامية).

❖إلى جانب هذه المساعدات هل هناك لحوم أو معلبات مستوردة؟

. نعم باعداد هائلة غطت على كل الاسواق.. والا اين هي الصناعة المحلية للألبان أو الاجبان مثلاً!؟

احد الواقفين تبرع بهذه المعلومة وقال: اشتريت عدة علب من الجبن المصري . المثلثات . وعندما اعطيته لقطة . نفقت . في الحال ولا ادري كيف حدث ذلك.

❖لماذا لا تحمل بقية العلب إلى الجهات المختصة مثل وزارة الصحة؟

. اكتفيت حينذاك باتلاف بقية العبوات فقد علمت ان منتسبي وزارة الصحة قد كانوا وقتها يتظاهرون احتجاجاً" على سلم الرواتب!

جمعيات ملتزمة

هذا لا يعني ان جميع الجمعيات سواء كانت مجازة أو غير مجازة تتعاطى مثل تلك الاعمال البعيدة عن الروح الانسانية وزيارتنا لبعض تلك الجمعيات اوضح ذلك..

رئيس جمعية المعاقين العراقيين موفق توفيق الخفاجي حدثنا قائلاً:

. في مطلع شهر نيسان المنصرم وزعت الجمعية حصصاً غذائية لـ (٧٥٠) معاقاً شملت زيت الطبخ، وجبن مثلثات، ومعجون الطماطة كما قامت بتوزيع الكراسي المتحركة للمعاقين إلى جانب الادوية الخاصة بحالات العوق. واشار إلى ان الجمعية تسعى إلى بذل قصارى جهدها في تلبية احتياجات المعاقين العراقيين، وان الجمعية تتلقى مساعدات من منظمات عالمية ونقوم بتوزيعها كلها.

وجمعية اخرى تحمل اسم . جمعية الحياة للاغاثة . التي عرفنا انها وزعت مواد عينية للعوائل المعدمة والفقيرة، كما قدمت مواد اغاثة إلى المناطق التي شهدت العنف والارهاب مثل مدينة النجف الاشرف، الفلوجة، ومناطق اخرى متضررة جراء الحرب الاخيرة، ولا سيما ان للجمعية عدداً من الفروع في المحافظات.

التقينا مدير العلاقات في جمعية الحياة للاغاثة توجهنا اليه بالسؤال التالي:

❖هل لكم علاقات مع منظمات انسانية في الخارج؟

. بالتأكيد فعلاقتنا طيبة مع جميع منظمات الاغاثة التي تنشط في اوقات الازمات والحروب وهي تدعمنا بتقديم مواد عينية كالاغذية والادوية والبطانيات، كما لنا علاقات طيبة مع جمعية الهلال الاحمر العراقية التي تنظم العمل معها..

في النهاية اود ان انبه الجهات المعنية إلى ما يدخل القطر من مواد تالفة، والعمل على عدم تسربها الى الاسواق.